

فلسفة التربية

كما يراها فخر بنز الفرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٥ —

—>>>><<<<—

الديمقراطية والحياة المثلى

« أية فظة من الخليفة هو الانسان؟ كم هو عظيم في عقله وليس محدود في ملكاته؟ وم هو رائع وسريع في صورته وحركته؟ وم هو كلاك في عمله وكالاله في فهمه؟ إنه جال العالم وتاج الحيوان !! »
شكبير — هنت
« على التربية اليوم أن تصلح الاخطاء التي فلتت الياسة في إصلاحها، وأن تخدم قضية الديمقراطية أفضل خدمة »
Bode, « Modern Ed. Theories »

عرضت عليك في المقال السابق ألواناً من أغراض التربية وصوراً وأشرت إلى دقة الموضوع وصعوبته، ثم تركته مفتوحاً لرجال التربية في الشرق كما يدل كل منهم فيه برأيه الخاص؛ وأعود اليوم فأجول بك في « الحياة المثلى » مادمتا نريد من التربية أن تعدنا لتلك الحياة...

ولكن ترى ماذا عسى أن تكون هذه « الحياة المثلى » لتلك « الإنسان العظيم » الذي تصوره شكبير؟؟ وأي علم من العلوم، أو فن من الفنون، يصلح للخوض في ذلك الموضوع غير الفلسفة والشعر؟؟ ومن أين تستمد التربية هذه الحياة إذا هي لم تستمدها من الفلسفة والشعر؟؟

الحق أن الناس قد اختلفوا وما زالوا يختلفون في تصورهم للحياة، وأن الفلاسفة والشعراء قد تباينوا تبايناً عظيماً فيما قد رسموه لها من « مثل عليا » دافعوا عنها ودعوا الناس إليها؛ وأنت ترى بعد ذلك أن الموضوع خطير كل الخطورة ما دامت حياتنا هنا واحدة لا عودة لها ولا تكرار!

إذن فبم تقوم « الحياة المثلى »؟ أي الزراعة وحكمة الأقدمين كما يقول « غاندي »؟ أم في السرور كما يزعم « ماتيو أرنولد »؟ أم في العمل بالنظام مع إرادة حاكم الكون كما يردد « زينو »؟

أم في النشاط الفكري الدائر حول أسمی موضوعات الفكر — وهو الله — كما يؤكد « أرسطو »؟ أم في إشباع الحاجات الطبيعية دون إفراط أو تفريط كما يطالب « سبنسر »؟ أم في التأمل في الجمال المطلق كما يسمو « أفلاطون »؟ أم في حياة الفضيلة كما نصح الرواقيون؟ أم في الحياة الطبيعية البعيدة عن العلم والفن كما صرح « روسو »؟ أم في أداء الواجب فحسب كما ألمح « كانت »؟

تلك جميعاً تصورات « للحياة السعيدة » فيها من التشابه والاختلاف الشيء الكثير. ولقد حاول « ديوي » في زرعته الإجتماعية الجارفة أن يدل برأيه في الموضوع فقال: « إن السعيد من الناس هو من ينظر إلى قوى نفسه من ناحيتها الاجتماعية فلا يدبر أمراً أو يرغب فيه إلا بالإشارة إلى أثره في الجماعة التي هو جزء منها. ذلك أن سعادته إنما تقوم في تنمية « النشاط الاجتماعي » دون النظر إلى ماعسى أن يكون في ذلك من لذة أو ألم^(١) » ومعنى ذلك أن الإنسان — مهما سما في الفكر أو اغتنى بالمادة — لا يستطيع أن يتذوق السعادة الحقة إلا في ظل الجماعة التي هو جزء منها، والتي لها عليه واسع الفضل وعظيم النعمة؛ وليست هذه الزعة في الواقع إلا صدى لتيار « الديمقراطية » الذي أغرق بأمواله الدوية الجارفة خرافة « التفريق بين الناس »، وحل « الشعب » على ظهره إلى فردوس الكرامة والرفق!

وماذا عسى أن تكون هذه الديمقراطية؟ وماذا عسى أن تكون تطبيقاتها في التربية؟

أما هي فيعرفها « ديوي » بأنها « حكم الشعب لأجل الشعب وبالشعب^(٢) »؛ ويفسرها بأنها اشتراك الأفراد في المصالح العامة بحرية تامة وفي دائرة الخير العام^(٣)؛ هذا بينما يعرفها « باستور » بأنها النظام الذي يمكن الجميع من تحقيق أقصى مجهوداتهم « وأما تطبيقاتها في التربية وفي غير التربية فخطيرة وعظيمة بحيث لا يكاد يتسع لها مثل هذا البحث... وحسبك أن تعلم

(١) أنظر A Source Book of The Philos. of Ed. by Kilpatrick فصل « غاية التربية »
(٢) أنظر كتابه The Schools of To morrow
(٣) وكتاب Democracy and Education

انتقال تجازها أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات !
وسبيل ذلك كله هو تحويل « المدرسة والتدريس » إلى
« شيء آخر » تنمو فيه شخصية الطفل ، وتقوى على مواجهة
الظروف ، وتكون مرنة لا تأسرها العادات ، وذات فراغ كاف
يرى يكسبها حكمة العلم ورقة الفن ويسمو بها فوق الآلات !
ذلك إلى عمل « مفهوم » وشائق وجذاب ، وإلى ثقافة راقية
تفهم صاحبها مركزه في الكون ووظيفته في الجماعة التي يجب
أيضاً أن تكون مفهومة لديه ! ثقافة خالية من « لصوص
التاريخ وسفاكيه » كما يقول هازنكا « برناردشو » وبذلك يكون
لدينا عضواً فعالاً ، متعاوناً مستقلاً ، عادلاً ، يحترم المعارضين ،
ويشك ، وينقد ، ويجازف ، ويسمو في إنسانيته فوق المعجوات ،
عضواً يرى السلاح حقارة كما يقول « برتراند رسل » ، ويمتقت
البدع الدينية ومروجها من ذوى الطيالس والاحي ، عضواً كله
إقدام وتفاؤل وأمل ، لاخوف وتردد وبأس ...

وستسأل بعد ذلك عن الأساس الفلسفي للديمقراطي ؟
وسأجيبك أن الله الذي خلق الإنسان « على مثله وسورته »
ما كان ليرضى له ذلاً أو استعباداً ، أو أى مظهر آخر من مظاهر
الاستعباد الذي يخذل إنسانيته ويعوقها عن كمالها للنشود
أو ليس « الإنسان » عظيماً في عقله ، وغير محدود في ملكاته ،
وراثماً في صورته ، وسريماً في حركته ؛ وكلالته في عمله ، وكلالته
في فهمه ؟ لأنه جمال العالم وتاج الحيوان ؟

إذن فالنا نأبى عليه إنسانيته الرفيعة هذه ، ونلقى به في هوة
فيها ما شئت وما لم تشأ من حيوان وشيطان ؟

« يتبع » محمد موسى ظاظا

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

أطلب مؤلفات
الاستاذ الأستاذ شبيب
وكتابه
الاستاذ الصالح
عن : مكتبة الرشد ، شارع الفلكي (باب البرز)
ومن المكتبات العربية المشهورة

أثارها في نظام الحكومة (١) ، ونظام العمل والمال ، ونظام
تعليم الشعب ، بل نظام العالم كله كما يتصوره السامعون المليون
تلم حقيقة ما أقول :

وهاهوذا « وولف يشترط في أعمال الفرد الديمقراطي أن
تكون شائقة جذابة وإلا دفت به إلى الفساد الخلقى » !
وهاهوذا « هومبوس » يحرم الحرب في الديمقراطية لأنه
يرأها تقتل « الحرية » ، وهذه — كما تعلم — أساس الديمقراطية
بل ما هوذا الأستاذ Bode يرى مع « ديوى » وغيره أن
الديمقراطية يجب أن تسود التربية في جميع مراحلها وتطبيقاتها
ويرجو من التربية ذاتها أن تكون خير مساعد في نشرها كما
تستطيع غداً أن تصلح تلك « الأخطاء الهائلة » التي رزح العالم
تحت أفعالها سنين طوالاً ، وكان الجاني عليه فيها سياسة عمياء ،
وزرعة حقا ، وجهل مطبق !

تطبيقات الديمقراطية على التربية

وما ذمنا هنا إزاء التربية فلا بد من أن نجعلها صالحة لخلق
مجتمع الديمقراطي المنشود — لا بد من أن نجعلها تمد الفرد
المعلم مراكز خاص كما كان الحال في « خرافة الطبقات » ، بل
نطلق مراكز مناسبة يعمل فيه كوحدة مرنة متسقة محترمة قادرة
على مواجهة التغير المنتظر في كل وقت ، وغير خاضعة لسياسة
تمسقية مفروضة !

ولم ذلك ؟ ألم تفشل مدارسنا الراهنة في تعليمنا أن الحياة
مغامرة فيها من المفاجآت القاسية بقدر ما فيها من المداعبات
الهيبة ؟ ألم تخرج لنا أولئك التكبرين المتعجبين الذين لا يصلحون
لشيء غير ملء المقاعد وتسويد الأوراق ، والذين تقوم بينهم وبين
الشعب هوة من الانسانية الكسيرة ، والكرامة المهينة ،
والشرف المذبح ؟

زيد إذن عالماً أحسن ؟ ! عالماً لا تتور فيه الحرب ، ولا تنطق
الآلة ، ولا يذبح فيه « العلم المادى » الايمان فيؤخر السمو الخلقى
ويعوقه عن اللحاق بالتقدم العلمي ! ! عالماً لا يدخل عليه التمييز
الحتى فيفرق أبناءه في جحيم من الفوضى كما ترى في كل مرحلة

(١) ومهما يكن لها في ذلك النظام من عيوب فانا نرى مع الأستاذ
جوستاف لويون أنها خير نظام وجه حتى الآن .. أنظر كتابه روح الاجتماع